موقع الإيمان التعليمي

اللغة العربية: نصوص الاستماع للصف العاشر/ الفصل الدراسي الأول

سيقوم المركز بتسجيل النصوص وتحميلها على رموز QR قبل بداية الفصل الأول لتكون متاحة لمعلمي ومعلمات اللغة العربية، وبما يخدم منهجية تطوير مناهج اللغة العربية

أولا

نصوص الاستماع/ كتاب الطالب/ الصف العاشر/ الفصل الأول

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الأولى: حديث كعب بن مالك رضي الله عنه

يروي كعبُ بنُ مالكٍ –رضيَ الله عنه– وكان قدْ تخلّفَ فيمن تخلّفَ عن غزوة تبوكَ، فلم ينفِرْ في سبيل الله مع النبيّ ﷺ ولم يكنْ من أصحاب الأعذار، قال: لمّا بَلَغني أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ عائدًا منْ تَبُوكَ حَضَرَني ندمي وحُزني، وصارَ الكذِبُ يراودُني، وَأَقُولُ: بِمَ أعتذرُ إليه غدًا حتّى أَخْرُجَ مِنْ سَخَطه؟ فعَرَفتُ أَنّي لن أخرج منه أبدًا بشيءٍ فيه كذِب.

وجاءَهُ الْمُخلَّفُونَ يعْتذرُون إِلَيْه وَيَحْلفُون لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وثمَانين رَجُلًا، فَقَبِلَ منْهُمْ عَلانيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتغفَر لهُمْ وَوَكَلَ سَرَائرَهُمْ إِلى الله تعالى، فجئتُ أَمْشي حتّى جَلَسْتُ بيْن يَدَيْهِ، فلمَّا سَلّمْتُ تبسَّم تبسُّم الْمُغْضَب ثمَّ قَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تكُنْ قَدِ اشتريتَ ظهرَكَ (أي راحلةً لك تحملُ عليها أثقالَك في السّفر)؟ فقلت: يَا رَسُولَ الله، إِنّي والله لَوْ جلسْتُ عنْد غيْرِكَ منْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَني سَأَخْرُج منْ سَخَطه بعُذْرٍ، وَلَكنَّني وَالله قدْ عَلمْتُ أنّي إنْ كذبتُ اليومَ كي أُرضيَكَ عنّي فإنّ الله سيُسْخطُك عليَّ، وإنْ صدَقتُكَ فغضبتَ منّي فإنّي لأرجو بهذا الصّدقِ عفوَ الله. يا رسول الله، والله ما كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، واللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسرَ مِنّي حِينَ تَخلّفْتُ عَنك. فقالَ رسولُ الله ﷺ: أَمَّا هذَا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضيَ اللَّهُ فيكَ.

وجاءَ رجالٌ مِنْ بَني سَلمةَ فقالُوا لِي: أَعَجَزتَ أَنْ تعتذرَ إِلَى رَسُول الله ﷺ بمَا اعْتَذَرَ إِلَيهِ الْمُخَلَّفُون، فيستغفرَ لك رسول الله كما استغفرَ لهم؟ قُلتُ لهُم: هَل قالَ مثلَ الّذي قلتُ أحدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلان قَالا مِثْلَ قولِك، وَقيلَ لَهمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لكَ. فقُلْتُ: مَن هُمَا؟ قالُوا: مُرارةُ بْنُ الرَّبيع الْعَمْرِيُّ، وهِلالُ بْن أُميَّةَ الْوَاقِفِيُّ. قَالَ كعبٌ: مُرارةُ وهلال! قد ذكَروا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْن شَهِدا بدْرًا، وإنّ فيهما لأُسْوَةً. قَالَ: فَمَضيْتُ حِينَ ذَكَروهُمَا لِي. وَنهَى رَسُول الله ﷺ النّاسَ عَنْ كَلامِ ثلاثتِنا مِن بَين من تَخَلَّف عَنهُ، فاجْتَنبَنا النَّاس ولم يكلّمونا، فَلَبثْنَا عَلَى ذَلكَ خمْسِينَ ليْلَةً. وكنتُ أَخْرُج فَأَشهَدُ الصَّلاة مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلّمُنِي أَحدٌ، وآتِي إلى رسول الله ﷺ فأُسَلّمُ عَلَيْهِ، وَهُو في مجْلِسِهِ بعدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ في نفسِي: هَل حَرَّكَ شفتَيهِ بردِّ السَّلامِ أَم لا؟ ثُمَّ أُصلّي قَريبًا مِنهُ وأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقبَلتُ عَلَى صلاتِي نَظر إِلَيَّ، وإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنّي، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ ليلةً منَ الْخَمْسِينَ أتاني رسولٌ من رسول الله فَقَالَ: إِنَّ رسولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتزِلَ امْرأَتَكَ، فقُلْتُ: أَأُطَلّقُهَا، أَمْ مَاذا أَفعلُ؟ قَالَ: لا، بَلِ اعتزِلْهَا، فلَبِثْتُ بِذلك عشْرَ ليالٍ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ عَلَى ظهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبينَا أَنَا جَالسٌ وقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَليَّ الأَرضُ بمَا رَحُبَتْ، سَمعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ بأَعْلَى صَوْتِهِ يقول: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، فخرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جاء الفرَجُ؛ قد أعلمَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ بتوْبَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ، وَهوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، مُذْ ولَدَتْكَ أُمُّك.

وكانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنارَ وَجْهُهُ، حتَّى كَأَنَّ وجْهَهُ قِطْعَةُ قَمر.

تفسير ابن كثير: 4/200– 204

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الثانية: في بيتي طائر

قصة فخري قعوار

من مجموعةِ "حُلُمُ حارسٍ ليليّ"

في وقتٍ متأخّرٍ من الليلِ سمعتُ طرقاً على بابِ مَنْزلي، فتحتُ البابَ، فوجدتُ رجلاً متعباً كالمرضى أو أشباهِ الموتى. طَلَبَ كوبَ ماءٍ ومبيتَ ليلةٍ، أدخلتُهُ وسَقَيْتُهُ، وقدَّمْتُ له طعاماً، وهيَّأْتُ له سريراً، ونام. في اليومِ التالي لم يتكلَّمْ، ولم يخرجْ مِنَ المنزلِ. احترمتُ صمتَهُ وبقيتُ ساكتاً أنا أيضاً. قدَّرتُ حاجَتهُ للطَّعامِ، فوفَّرْتُ له ثلاثَ وجباتٍ على أنغامِ الْموسيقى.

في اليومِ الذي يليه قلتُ: لا بدَّ أنْ يَحْزِمَ أمْرَهُ للرَّحيلِ؛ فَصَنَعْتُ لَه فِنجانَ قَهْوَةٍ وآخرَ لي، وجَلَسْتُ إلى جِوارِه. قُلْتُ لَهُ:

– لمْ أَتَعَرَّفْ على الأخِ!

ظننتُ أنَّه لمْ يَسْمَعْ، فَأَعَدْتُ كَلامي مرَّةً ثانيةً، فقالَ:

– أنا طائر!

تمالكتُ غَضبي، وقلتُ:

– لكنَّكَ بِلا جناحيْنِ أو منقارٍ أو ريش!

عادَ وسكَتَ قليلا، ثُمَّ أضافَ:

– هذه أوصافٌ لمْ تَعُدْ مُهِمَّة.

وَرَشَفَ رَشْفَةً مِنَ فِنْجانِ الْقَهْوةِ وَقالَ:

– أنا طائرٌ مُهاجِرٌ مِنْ وَراءِ الْبِحارِ.

وَمُنذُ أنْ قالَ ذلك بَدَأْتُ أَسْتَثْقِلُ دَمَ الرَّجُلِ، وسَأَلْتُهُ عَمَّا إذا كانَ يَرْغَبُ في إطالَةِ إقامَتِهِ في بيتي، فقالَ: "نعمْ". في الْيَوْمِ الرابعِ بَدَأَتْ مَلامِحُ الْعافِيَةِ تَظْهَرُ على وَجْهِهِ، وسَأَلَني عَنْ مَكانِ مَكْتَبِ الْبريدِ في مدينتنا، فَسَأَلْتُهُ عَن سَبَبِ حاجَتِه لِمَكْتَبِ الْبريدِ فَقالَ:

– أُريدُ أنْ أبْعَثَ في طلبِ زَوْجَتي وأوْلادي لِلإقامَةِ مَعي هنا.

فَقُلْتُ: لكنَّكَ لمْ ترَ شيئاً في الْمدينةِ كيْ تَبْعَثَ في طَلَبِهِمْ! فَأَجابَ:

– ليسَ مُهِمَّاً، فَنَحنُ نَعْرِفُها مِنْ كُتُبِ الْجغرافيا.

كانتْ هذه هي الْمرَّةَ الأولى التي يستعملُ فيها ضيفي كَلِمةَ "نحنُ" بدلاً مِن "أنا"، مِمَّا طوَّرَ الاستثقالَ إلى كَراهِية، فسألْتُهُ بضيقٍ عَمَّا هُوَ الْمُهِمُّ إذنْ؟ فقالَ بثقةٍ واسْتعلاءٍ:

–الْمُهِمُّ شَقَّتُكَ... إنَّها مُريحَةٌ، وتتوافَرُ فيهِ كُلُّ اللَّوازِمِ التي نَحْتاجُها لِلإقامَةِ.

موقع الإيمان التعليمي

وحينَ قُلْتُ لَهُ إنَّها شَقَّتي وأنَّ اللوازمَ لي، ضَحِكَ طَويلا، ولمْ يُعلِّقْ بِكَلِمَةٍ، ثُمَّ قَفَلَ داخِلاً إلى غُرْفَةِ النَّوْمِ، وارْتَدى مَلابِسه، وَقَبْلَ خُروجِهِ سَأَلَني إنْ كُنْتُ سَأبْقى في الْبَيْتِ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنّني باقٍ، فقالَ:

- على كلِّ حال، إنْ رَغِبْتَ في الْخُروجِ فلا تَقْلَقْ بِشَأْني، فَقَدْ وَجَدْتُ نُسْخَةً مِنَ الْمِفْتاحِ في غُرْفَةِ النَّوْمِ.

خَرَجَ وَتَرَكَني أَضْرِبُ كَفّاً بِكَفٍّ، وأَنا أُفَكِّرُ جَدِيّاً في التَّخَلُّصِ مِن هذا الطَّائِرِ الذي فَرَضَ وُجُودَه. في الْيَوْمِ الْخامِسِ طَلَبْتُ مِنْهُ مُغادَرَةَ الْمَنْزِلِ، فَرَفَضَ ضاحِكاً ضَحِكَتَهُ الطَّويلَةَ الْمُمَيَّزَةَ، وفي الْيومِ السَّادِسِ كَرَّرْتُ الطَّلَبَ، فَغَضِبَ وَصاحَ في وَجْهي مُهَدِّداً بِأَنَّهُ إنْ أَعَدْتُ هذا الكلامَ مَرَّةً أُخْرى فَسَيَكْسِرُ جُمْجُمَتي! حينَ أَعَدْتُ الكلامَ نَفْسَهُ في الْيَومِ السَّابِعِ أَخْرَجَ مُسَدَّساً مَحْشُوّاً بالرَّصاصِ مِن جَيْبِهِ، وقالَ:

- سَأُسامِحُكَ هذهِ الْمَرَّةَ، لِأَنَّك لا تَعْرِفُ أَنّي شَريكُكَ في عَقْدِ الإيجارِ.

رَكَضْتُ حينَها كَأَرْنَبٍ بَرّيٍ نَحْوَ مَلَفِّ أَوْراقي الرَّسْمِيَّةِ، تَفَقَّدْتُ عَقْدَ الإيجارِ وَلَمْ أجِدْ له اسماً فيه، وحينَ واجَهْتُهُ بِذلكَ قالَ بِخُيَلاءِ الطَّواويسِ:

- لكنَّ نُسْخَتي مِنَ الْعَقدِ تَقولُ إنَّنا شُرَكاءُ.

وَمُنْذُ ذلكَ الحينِ، أَصْبَحْنا شُرَكاءَ في كلِّ شيءٍ في مَنْزِلي، إلى أنْ جاءتْ أُسْرَتُهُ، فاسْتَأْذَنَ مِنّي البقاءَ هو والأسرةُ فقطْ، لأنَّ الْمَنْزِلَ لم يَعُدْ يَتّسِعُ لِلْجميعِ، فَقُلْتُ لَه:

- ولكنَّنا شركاءُ بِموجِبِ نُسْخَتِكَ من الْعَقْدِ!

- قالَ: أبداً. الْعَقْدُ باسْمي وَحْدي، وأَسْتَطيعُ إثباتَ ذلكَ أمامَ الْمَحاكِمِ.

عادَ وَأَخْرَجَ مُسَدَّسَهُ مرَّةً أُخْرى، وَأَمَرَني بالْخروجِ الْفَوْرِيّ، مُفَضِّلاً ذلك على الْوقوفِ أمامَ الْمَحاكِمِ، فَخَرَجْتُ، وأَوْكَلْتُ قَضِيَّتي لِمحامينَ، كانوا يفوزون بقرارٍ من الْمَحْكَمَةِ يَقْضي بِأَحقيَّتي في الْبيتِ، لكنَّ الْمَحْكَمَةَ أشبعتْني وَرَقاً وقراراتٍ، وأنا ما أزالُ خارجَ بَيْتي!!!

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الثالثة: زربية (1): قصة مترجمة

ترجمها عن الفرنسية: منصف المزغني**

أخيرًا نُشِرَتْ للأستاذ «شي» مقالةٌ علميةٌ فريدةٌ في بابها، نال مقابلَها مبلغًا ماليًّا مجْزِيًا. هذا العجوز الذي وهب حياته، وكلَّ مهجته لبحوثه لا يعرف كيف يُنظِّم حياته اليومية، وكان علينا – نحن الطامحين لنيل الدكتوراه تحت إشرافه– أن نعتني به بعد وفاة زوجته حتى يستخدم رأسماله الصغير على الوجه الأفضل، ومن أجل هذه المهمة عقدنا اجتماعاتٍ عديدةٍ!

تنقص الأستاذ «شي» أشياء كثيرة؛ فقد كان قليلالممتلكات والأثاث، ومن ناحية المبدأ فإن الأستاذ موافق على اقتناء الأشياء الضرورية أكثر من غيرها، وحسب الأولوية، وكل ما من شأنه أن يساعده على نشر كتابه القادم. سبق لنا أن تقدمنا بمقترحات لشراء أشياء كثيرة وللأسف كانت كلها مرفوضة من جانبه. إزاء خيبتنا ونفاد صبرنا فإن الرجل العجوز قد ضرب برفق على متّكأ أريكة الخيزران وأطلق تنهيدة:

–لم يعد لدي وقت كثير.

–ولكن، في نهاية الأمر، ما هو الشيء الذي يبهجك؟

–إنني أفكر منذ زمن طويل، بل جدّ طويل، ولكن دعوني الآن أحتفظ بسري! هيا وأحضروا شاحنة صغيرة من المكتب الإداري على أن يُخْصَمَ أجرُها من راتبي.

صرنا في حيرة من أمرنا، فنحن مرغمون على تنفيذ أوامره في الحال، وكنا مدركين أنه ليس بمقدورناإثناءَهُ عما اعتزم القيام به، وهكذا سرنا في الطريق برفقته.

أوقف السيد «شي» الشاحنة الصغيرة أمام محلٍّ تجاريٍّ كبير وتوجه دون تردّد نحو المصعد.

–الطابق الأخير من فضلكم! هكذا أمرَ.

في الطابق الأخير تباع مواد الفراء والحليّ والمصنوعات التقليدية والسّجاجيد، وأمام كومة السّجاد توقف! وبعد أن تمعّن جيدا في لائحة الأسعار والمقاسات اتّخذ قراره.

–أشتري هذه.

أُصبنا كلُّنا بالذّهول، حتى أننا حاولنا ثنيه عن عزمه.

–أنت لا تملك، تقريبا، أية قطعة أثاث في البيت، فما نفع شراء سجادة؟! فضلا عن سعرها المرتفع!

–لا عليكم، لدي أسبابي، هاكم الأموال، ادفعوا الحساب أرجوكم.

تناولتُ المال، ولكني مازلت أسعى إلى تغيير رأيه.

–إذا كنت، حقا، تريد شراء سجّادة فلا فائدة في أن تكون بهذه السّماكة، فضلًا عن غلاء سعرها.

موقع الإيمان التعليمي

–بالعكس إن السّجادة السميكة هي القادرة، وحدها، على أن تمنح متعةً خاصّة!

أمام عَجْزِنا عن التّصرّف ضد إرادته دَفَعْنا الحسابَ، ولففنا السّجادة، قبل أن نشحنها في السّيارة.

حين وصلنا إلى العمارة حيث يقيم، ورفعنا السّجادة إلى الطابق الثاني انتظرناه أن يفتح باب شقته.

وكم كانت مفاجأتنا كبيرةً! فبعد أن شكر السائق، وفيما هو يصعد الدرج، أَوْمَأَ لنا بيده:

–ارفعوها إلى الثالث!

–ولكن لماذا يا أستاذ؟

–افعلوا مثلما قلت لكم، سوف ترون!

لم يبق لنا إلّا أنْ نُذْعِنَ.

توقَّفَ أمام الشَقَة التي تعلو شقّته، وطرق طرقًا خفيفًا. لا أحد أجاب. لا شكّ أنّ الضّوضاء داخلَ الشّقّة قد بدَّدَ صوت الطرق الخفيف!

وَطَفِقَ يطرُقُ البابَ بقوّة، وبفعل ارتجاج الباب ظهر وجهٌ باسمٌ لشاب طبّاخُ المطعمِ الجامعيّ. كان ضجيج الأصوات وقهقهة الضحكات تصمّان آذاننا!

–آه، هو حَضْرَتُكَ يا أستاذ «شي» ! أية نسائم طيبّة حَمَلَتْكَ! رغم أننا جيران إلّا أننا لا نلتقي إلّا نادرًا! تفضَّل بالدخول. تفضّل.

انحنى أستاذي العجوز قليلا ليصرّحَ:

–إنّني... ومنذ زمن طويل، أنوي أن أقدّم لك هديّة متواضعة.

وببطء قام الطباخ بخطوة راقصة وأجابه وهو يضرب بكفّيه:

–اه... اه! لقد سمعتهم يحكون أنك تلقّيْتَ مِنْحَةً إضافيّةً.

تريد أنْ تُشْرِكَ جارَك في تقاسم هذه المكافأة؟ «ليز هي» تعالّيْ بسرعة واشكري...

ثم ظلّ فاغِرًا فاهُ من الدّهشة وهو يرانا ننقل السجّادةَ داخل شقّته!

في الدّاخِلِ كانت هناك مجموعة شُبانٍ، وكانت وجوههم محمرَّةً، والعرقُ يتصبّب من جباههم وكانت السيدة اللّطيفة «ليز هي» ذاهلة تستقبل الهديّة غيرّ مصدقةٍ عينيها ولا أذنيها.

وخيّم الصّمتُ على ذلك المجلس، فقد كان الكلّ يُحَمْلِقُ في السّجادة بعيونٍ مفتوحة على آخرها وكأنهم أمام لعبة سحرية من "صن يوكونغ" .

قطعت السيدة «ليز هي» الصّمت وهي في منتهى الارتباك:

–نحن شاكرون لك لطفك...من هنا فصاعدًا لن نُزْعِجَ..

فقاطعها السيد «شي:»

–أرجوكم تقبّلوها، إنها ليست غير هدية بسيطة.

موقع الإيمان التعليمي

قاطع السّيد «شي»، ثمّ أعطى الأمر: ابسطوا هذه السّجادة بسرعة!

وهو ما أنجزناه في الحال! كان الطّباخ الشّاب متضايقًا جدا ويحاول منعنا، ولكنّ السّيد «شي» كان يلحّ:

–دَعْهم وشأنَهم، ستكون السّجادةُ عندكم كما هي عندي.

بعد قليل، وإثْرَ العودة إلى شقّة أستاذنا، عاتبناه على فعله هذا غير المسوّغ أو المفهوم.

وبدل أن يبحث عن مبرّرات، استقرَّ مرتاحًا في أريكته الخيزرانيّة، وعيناه إلى السّقف، وبعدَ أن استمع إلى كل شكاوانا، تبدّت ابتسامة على شفتيه:

–الأمر يستحقُّ كلَّ هذا. إنّ فكرتي كانت جيّدة! ثم واصل – وهو يشير إلى السّقف– : لماذا تقولون إنّي أهديْتُ السجّادة إلى غيري؟ ألم أُدْخِلِ السّرورّ على نفسي مادامت السّجادة تغطي سقف بيتي؟.

صن يوكونغ ملك القرود وهو بطل الرواية الكلاسيكية «الحج إلى الغرب» وله طرائق في التّصرف والاحتيال.

---

*الكاتب Hang Ying من مواليد 1944 وله في الفرنسية مجموعة قصصية بعنوان «مساء خريف.«

**شاعر ومترجم من تونس.

قصة صينية للكاتب: هانغ ينغ

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الرابعة: منْ سيرةِ الأديبةِ عائشةَ بنتِ الشّاطئِ

وتركني عمّي وودّعني بعدَ أن اطمأنَّ إلى استقراري في القسم الداخلي... فأقبلت على دروسي جادّة في تحصيل ما فاتني منها، وقد أوشك امتحان نصف السنة أن يعقد. وأدّيتُه بنجاح، ثمّ تابعتُ الدراسة بقيّة الموسم، وأنا أقاوم بكلّ طاقتي شعورًا بقلقٍ خفيٍّ، ظلّ يطاردني في اليقَظة والمنام. وقد علّلتُه بأنّه فرطُ حرصٍ منّي على مواصلة التعليم، وصدى ما لقيته من مخاطر الطريق؛ ذلك لأنّه لم يكن هناك في الظاهر، ما يدعو إلى قلق أو خوف؛ فالرّسائل تأتيني من أمّي بانتظام، ولا جديد فيها من أخبارٍ عن الأسرة، ممّا يشغل البال.

وعدتُ إلى البيت بعد أن اجتزتُ امتحان النقل إلى السنة الثالثة، لأواجهَ ما طوتْه عنّي أمّي في رسائلها إليّ من مأساتنا: مات جدّي الشّيخ، وواروه الثّرى دون أن أتزوّد منه بنظرةِ وداعٍ أخيرٍ. ومضى دون أن أُشيّعَه إلى مثواه، بكلمةِ ولاءٍ وعهدِ وفاءٍ، تؤنس وحشةَ رحلتِه إلى حيّ الموتى، في الطرف الأقصى من البلدة.

وتعرّض بيتُنا بعدَه لهزّةٍ عاصفةٍ كادت أن تقوّضَه، إذ عاد أبي يُصرّ على حجزي في المنزل، وألفيتُ أمّي مضغوطةً بين شقّي رحى: لا تستطيع أن تتخلّى عنّي، كما لا تستطيع في الوقت نفسه أن تُعرّضَ البيتَ للخراب، وفيه شقيقاتٌ لي خمسٌ، وشقيقان أصغرُهما رضيعٌ في الشّهور الأولى من عمره! وكلا الأمرين أحلاهما مرّ.

وكانت أمّي أقربَ إلى أن تحميَني بأيّ ثمنٍ، غيرَ أنّي ما كدتُ أذكرُ ما أصابَ جدّي بسببي، حتّى تهيّبتُ التّضحية الفادحةَ التي تريد أن تتحمّلها من أجلي، وروّعني أن أتمثّلَ إخوتي السبعَ الصّغارَ حطامًا مبعثرًا بين أنقاضِ البيتِ الموشكِ على الانهيار. هنالك قرّرتُ أنّ دوريَ قد جاء، لأحتملَ عن أمّي العبءَ الباهظَ، فأكونَ قُربانَ الفداءِ لسلامةِ البيتِ.

وساعدت الظروف على حسم الموقف، حين أُصبتُ بانهيارٍ عصبيٍّ أعيا الرُّقاةَ والأُساةَ دواؤُه، فانقطعتُ عن المدرسة، وتقرّر شطبُ اسمي من سجلّ طالباتِها؛ لعجزي عن الانتظامِ في الدّراسة. كانت أمّي شقيّةً بمحنتي، وقد تضاعف همّي بشقائها... ومن أجلها تماسكْت، ولأجلها رحتُ ألتمس منفذًا عبر الطريق المسدود، بعد أن أراحني اليأسُ من همّ التطلّع والطّموح.. رحتُ ألتمسُ منفذًا لتطمئنَّ أمّي إلى أنّ كلّ ما احتملْناه في الشّوط الذي فات، لم يذهب عبثًا.

كان المنفذ الوحيد أمامي أن أستعيرَ الكتب المدرسيّة المقرّرة على طالبات السنة النهائيّة بمدارس المعلّمات، حيثُ عكفتُ على تحصيلها، ثمّ تسلّلتُ من البيت خُفيةً، وأبي غائبٌ عن المدينة في إحدى رحلاته، فأدّيْتُ امتحانَ شهادةِ الكفاءةِ للمعلّمات أمامَ لجنةِ مدرسةِ طنطا، وكنت الوحيدةَ التي تقدّمتُ إليه من المنزلِ، وكنتُ أولى الناجحاتِ في مصر، بفارقِ مئةٍ وثلاثينَ درجةً في المجموع، عن الطالبةِ التي تليني في ترتيبِ النجاح!

لكنَّ ذلك الشوطَ لم يمضِ، إلا بعد أن وقفتُ لحظةً في نهايته، وقد لاح لي من بعيد، طريقٌ آخرُ لم أكن قد اتّجهتُ إليه قطُّ، ولا جرُؤَتْ أحلامي على أن تتمثّلَه أو تتعلّق به. وقد بدا الأمر حينذاك، أشبهَ بمصادفةٍ

موقع الإيمان التعليمي

عابرة، لا تلبثُ أن تمضيَ دون أن تُغيّر متّجهَ خطواتي، أو تتركَ في دنياي أثرًا ذا بالٍ: حدث ذاك، يومَ أخذتُ مكاني في جانبٍ من قاعةِ الامتحانِ الشّفهيّ لشهادة المعلّمات، أنتظرُ دوريَ لأُؤَدِيَه بعد الطالبات الرّسميّاتِ. وكان الأساتذة الممتحنون قد ضاقوا بتعثّرهنَّ في تلاوة السور القرآنيّةِ والنصوصِ الشعريّة المقرّرة، فلمّا جاء دوري وتلوْتُ مجوّدةً ما اختاروا لي من سورتَي النساءِ والنورِ، سُئلْتُ عمّا أحفظُ من النصوصِ الشعريّة، فكان جوابي أن سألت: من أيّ عصرٍ؟ وعجب الممتحنون لسؤالي، ثمّ طلبوا نصًّا من العصر الجاهليّ فأنشدتُهم أبياتًا من معلّقةِ طرفةَ بنِ العبدِ، ومرثيّةِ المهلهل بن ربيعةَ التغلبيّ في أخيه كليب. قالوا أسمعينا شيئا من صدر الإسلام، فبادرتُ أُنشد لاميّةَ كعبِ بنِ زهير (بانت سعاد).

ثمّ ما زالوا ينتقلون بي من عصر إلى عصر وهم في دهشة من حفظي، حتّى إذا وصلنا إلى العصر الحديث فاجأْتُهم بسؤالي: منْ شعري أو منْ شعر سوايَ؟ ولم يُنسِني مرُّ السنين، ما بدا عليهم من عجب، وقد قال أحدُهم: إن كنتِ شاعرةً فأسمعينا إحدى قصائدك. وأنشدتهم قصيدةً لي "في الحنين إلى دمياط"، ولم يبقَ لديهم ما يمتحنونني فيه، فأقبلوا عليّ يسألونني عن وجهتي في التّعليم بعد نيل هذه الشهادة لكفاءةِ المعلّمات.. وأجبتُ عن سؤال السادة الممتحنين: في نيّتي أن أعكفَ على تحصيل الموادّ المقرّرة على القسم الإضافيّ، ثمّ أتقدمَ من المنزلِ لأداء امتحانه النهائيّ. فأنكروا ما سمعوا من جوابي، وزيّنوا لي أن أعدل عن هذا الطريق القريب، إلى طريق الجامعة، ففيها وحده المجال الرحب الذي يستحق أن أتعلّق به وأسعى إليه.

وفي ظنّي، أنّي لم أكن حتّى ذلك اليوم، قد سمعتُ عن الجامعة... وفهمتُ من كلام الأساتذة الممتحنين، أنّ الطريقَ إلى الجامعة يحتاج إلى زادٍ من اللغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة، عجبتُ بدوري لشططهم في تقدير طاقتي وعدّتي، وأنّي لَمِن بيئةٍ لم تُدنِّسْها كلمةٌ من لغة الفرنجة!

الدكتورة عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ)، على الجسر بين الحياة والموت، سيرة ذاتية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 56 –60

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الخامسة: قصَّتانِ من كتابِ "البخلاءِ" للجاحظِ

القصّةُ الأولى: مُفارقة (البخيل والدّرهم)

قال الجاحظُ:

وحديثٌ سمعناهُ على وجْهِ الدَّهْرِ، زعموا أنَّ رجلًا قد بلغَ في الْبُخْلِ غايَتَهُ، وصارَ إمامًا، وإنَّه كان إذا صارَ في يدِهِ الدِّرْهَمُ، خاطَبَهُ وناجاهُ وفدّاهُ واسْتَبْطَأَهُ. وكانَ مِمّا يقولُ لَهُ: "كَمْ مِنْ أرْضٍ قَدْ قَطَعْتَ، وكَمْ مِنْ كيسٍ قَدْ فارَقْتَ، وكَمْ من خامِلٍ رَفَعْتَ، وكَمْ مِن رفيعٍ قد أخْمَلْتَ. لَكَ عِنْدي ألَّا تَعْرَى ولا تَضْحَى"، ثُمَّ يُلقِيه في كيسِهِ ويَقولُ لَهُ: "اسكنْ على اسمِ اللهِ في مكانٍ لا تُهانُ ولا تُذلُّ ولا تُزْعَجُ منه". وإنَّه لمْ يُدخِلْ فيهِ دِرْهَماً قَطُّ فَأَخْرَجَهُ.

وإنَّ أهْلَهُ ألحّوا عليهِ في إنفاقِ دِرْهَمٍ، فَدافَعَهُمْ ما أمْكَنَ ذلكَ. ثُمَّ حَمَلَ دِرْهمًا فقط. فبيْنَما هُوَ ذاهِبٌ إذْ رَأى حَوّاءً قَدْ أَرْسَلَ على نَفْسِهِ أَفْعَى لِدِرْهَمٍ يَأْخُذُهُ، فقالَ في نَفْسِهِ: أُتْلِفُ شَيْئاً تُبْذَلُ فيهِ النَّفْسُ، بِأَكْلَةٍ أوْ شَرْبَةٍ؟ واللهِ ما هذا إلَّا مَوْعِظَةٌ لي مِنَ اللهِ. فَرَجَعَ إلى أَهْلِهِ، وَرَدَّ الدِّرْهَمَ الى كيسِهِ. فكانَ أَهْلُهُ منه في بلاءٍ، وكانوا يَتَمَنَّونَ مَوْتَهُ والْخَلاصَ مِنْهُ بالْمَوْتِ، والحياةَ بدونِهِ.

فَلَمّا ماتَ وظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ اسْتَراحوا مِنْهُ، قَدِمَ ابْنُهُ، فاسْتَوْلَى على مالِهِ ودارِهِ، ثُمَّ قالَ: "ما كانَ أُدْمُ أَبي؟ فإنَّ أَكْثَرَ الْفَسادِ إنَّما يكونُ في الإدامِ". قالوا: "كانَ يأْدَمُ بِجُبْنَةٍ عِنْدَهُ". قال: "أَرونيها". فإذا فيها حِزٌّ كالْجَدْوَلِ مِنْ أَثَرِ مَسْحِ اللُّقْمَةِ. قالَ: "ما هذه الْحُفْرَةُ"؟

قالوا: كانَ لا يَقْطَعُ الْجُبْنَ، وإنَّما كانَ يَمْسَحُ على ظَهْرِهِ، فَيَحْفِرُ كما تَرى قالَ: "فهذا أَهْلَكَني، وبِهذا أَقْعَدَني هذا الْمَقْعَدَ. لوْ عَلِمْتُ ذلك ما صلّيتُ عليهِ". قالوا: فأنتَ كَيْفَ تُريدُ أنْ تَصْنَعَ؟ قالَ: "أَضَعُها مِنْ بعيدٍ، فَأُشيرُ إليْها باللُّقْمَةِ".

القصّةُ الثانيةُ: مُعاذةُ العنبريّةُ

تَوَسَّطَ أحدُ الشيوخِ مجلسَهُ في مسجدِ البصرةِ بين رُوّادِهِ يومًا، فقالَ لهُمْ: لم أرَ في حياتي امرأةً تضعُ الأمورَ في مَواضِعِها وتُوَفّيها غايةَ حُقوقِها مثلَ مُعاذةَ العنبريةِ. فقالَ له أصحابُه: وما شأنُ معاذةَ هذه؟

قال: أهدَى إليها العامَ ابنُ عمٍّ لها أُضْحِيَةً. فرأيْتُها كئيبةً حزينةً مُفكّرةً مُطرِقةً، فقلتُ لها: مالَكِ يا مُعاذة؟

قالتْ: أنا امرأةٌ أرملةٌ وليسَ لي قَيِّمٌ، ولا عهدَ لي بتدبيرِ لحمِ الأضاحي، وقد ذهبَ الذين كانوا يُدبّرونَه ويقومونَ بِحقِّه. وقد خِفْتُ أنْ يضيعَ بعضُ هذه الشّاةِ، ولسْتُ أعرف وضْعَ جميعِ أجزائِها في أماكِنِها. وقد علمْتُ أنَّ اللهَ لم يخلقْ فيها ولا في غيرِها شيئًا لا منفعةَ فيهِ. ولكنّ المرءَ يعجزُ لا مَحالةَ. ولسْتُ أخافُ من تضييعِ القليلِ إلّا أنّهُ يجرُّ تضييعَ الكثيرِ.

أمّا القرْنُ فالوجهُ فيهِ معروفٌ، وهو أنْ يُجعَلَ منهُ كالخُطّافِ، ويُسَمَّرُ في جِذعٍ من أجذاعِ السّقْفِ، فيُعلَّقُ عليهِ إناءُ الماءِ وكلُّ ما خيفَ عليه من الفأرِ والنّملِ والحيّاتِ وغيرِ ذلكَ. وأمّا المُصرانُ فإنّهُ لِأوتارِ المِنْدَفَةِ، وبِنا إلى ذلكَ أعظمُ الحاجةِ. وأمّا العِظامُ فسبيلُها أنْ تُكسَرَ، ثمّ تطبخ، فما ارتفعَ من الدّسَمِ كانَ للمصباحِ

موقع الإيمان التعليمي

وللعصيدةِ ولغيرِ ذلكَ، ثم تُؤخَذُ تلكَ العظامُ فتجفّفُ، فَيوقدُ بها، فلمْ يرَ النّاسُ وَقودًا قطُّ أصفَى ولا أحسنَ لهبًا منه. وأمّا الإهابُ فالجلدُ نفسُهُ جرابٌ. وللصّوفِ وجوهُ منفعةٍ لا تُعَدُّ. وأمّا الفرثُ والبعرُ فحطبٌ إذا جُفِّفَ عجيبٌ.

ثمّ قالتْ: بقِيَ الآنَ علينا أنْ ننتفعَ بالدّمِ. وقدْ علمْتُ أنّ اللهَ –عزَّ وجلَّ– لم يُحرّمْ من الدَّمِ المسفوحِ إلّا أكلَهُ وشُربَهُ، وأنّ لهُ مواضعَ يجوزُ فيها، ولا يُمنَعُ منها، وإنْ أن لمْ أقعْ على علمِ ذلكَ حتّى يوضَعَ موضِعَ الانتفاعِ بهِ، صار كيّةً في قلبي، وقذًى في عيني، وهمًّا لا يزالُ يعودُني.

قال: فلمْ ألبثْ أنْ رأيتُها قد تطلّقَتْ وتبسّمتْ. فقلْتُ: ينبغي أنْ يكونَ قد انفتحَ لكِ بابُ الرّأْيِ في الدَّمِ. قالتْ: أجل، ذكرْتُ أنّ عندي قُدورًا شاميّةً جُدُدًا، وقد زعموا أنّهُ ليسَ شيءٌ أزيدَ في قوّتها من التّلطيخِ بالدَّمِ الحارِّ الدّسِمِ. وقد استرحْتُ الآنَ إذْ وقعَ كلُّ شيءٍ موقِعَهُ.

قال: ثمّ لقيتُها بعد ستّةِ أشهرٍ، فقلْتُ لها: كيفَ كانَ قديدُ تلكَ الشّاةِ؟ قالتْ: بأبي أنتَ. لمْ يجِئْ وقتُ القَديدِ بعدُ، لنا في الشّحْمِ والعظْمِ وغيرِ ذلكَ معاشٌ، ولِكلِّ شيءٍ إبّانٌ.

(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البخلاء، ط5، ص 33–34، ص131–132، تحقيق طه الحاجريّ، دار المعارف، مصر)

موقع الإيمان التعليمي

ثانيا

نصوص الاستماع/ كتاب التمارين والأنشطة/ الصف العاشر/

الفصل الأول

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الأولى: قصة/ اعتذار

للكاتب هيسم جادو أبو سعيد (قاص وروائي سوري)

الآن، في هذه المرة... اليوم بالتحديد... أنا واثق من أنه هو! لهذا اعتذرت منه:

- كنت مراهقا...

بهاتين الكلمتين حاولت أن أسوغ... رسمت على وجهي أقصى حالات الحزن، ودلقت من عينيّ كل الندم الذي عشته سنوات منذ التقيته في المرة الأولى... كان يصغرني بعشر سنوات، وكنت أكبره بشقاوة المراهقين، وبشعور عارم بالفقر وبالظلم! ما زلت أذكر التفاصيل، البرد، وحذائي المستعمل الضيق، لكنني نسيت وجه ذلك الصبي، تقدم مني عارضا يبيعني من علبة علكة يحملها، تقدم بخجل وبكثير من الضعف والحزن على وجهه متكلما بصوت لم أسمعه، همست له أن يكرر ما قال:

- اشتر مني، اجبر عني أرجوك، فأنا مريض ويتيم، نسيت وجهه، لكنني أذكر كنزته الصوفية الباهتة ويديه المرتجفتين بردا.

هززت رأسي ثانية وأنا أنحني وأقرب أذني من وجهه وقد جال في خاطري: لماذا اخترتني أنا لتعرض بضاعتك عليّ؟ ألم ينبئك مظهري عن إفلاسي، أم ضعفك انجذب إلى ضعفي، وفقرك اهتدى إلى فقري لتجدني أحاول الاستقواء عليك، ربما لأنني لم أجد أضعف منك في هذا الشارع المتأهب للإطاحة بالضعفاء؟!

اقترب من أذني وأعاد كلماته بصوته الواهن، أشرت إلى أذني: لم أسمع، ارفع صوتك...

لربما أنبثق في صدره أمل بأن أشتري شيئا... فكرر المحاولة في رفع الصوت... ها قد بدأ ارتجالي ينجح، وجدت من أستطيع إرغامه على ما لا يريد، لن أكون المنصاع الوحيد دوما!

تذكرت ما جري بالأمس وقبله في سوق الحسبة، في عز الظهر، أمام محلات تجارة الخضار، وانتظاري قدوم سيارة الخضار المحملة، وتحفزي لاعتلاء الشوالات والصناديق مع أربعة ممن يساوونني في السن... صراخ السائق وشتائمه لننزل جميعا باستثناء واحد، دون أن يحدد من يريد، كأنه يترك لقوانا أن تحدد كي يحظى بالأقوى والأنشط لإنزال البضاعة، فأنزل مع خيبتي لانتظار سيارة أخرى، ومعركة أخرى قد لا أفوز فيها أيضا.

تكررت إشارتي لذاك الصغير ليستجيب برفع صوته في كل مرة، دون أن يتخلى عن إطراقة التذلل، محاولا الاقتراب من أذني ومحاولتي رؤية عينيه اللتين راحتا تقدحان شررا، فصرخ بأعلى صوت: اشترِ مني...فانفجرت ضاحكا: أهذا الصوت كله من طفل مريض يتيم...؟ لكن ضحكتي لم تدم طويلا، فقد صفعني ذهوله، جحوظ عينيه، خيبته، انمحى الشارع والعالم من حيز إدراكي ليبقى ذاك الطفل وحده، سينقض عليّ، سيشتمني، سيطلب عون المشردين أمثاله... ليته فعل، لقد أطاح العلبة كأنما شلت أصابعه، وانفجر باكيا، وولى فارا متعثرا بالبسطات، دون أن يخمد صوت بكائه في أذني منذ أكثر من أربعين عاما.

موقع الإيمان التعليمي

بحثت عنه ولشهور طويلة، أردت الاطمئنان على شفاء عينيه مما ألحقته بهما من ذهول ودموع... أن أعتذر منه... أن أعترف له أننا متشابهان، لكنني لم أجده أبدا ، وظللنا متشابهين، لم يعتذر لنا أحد عن كل ما تسبب به لنا، لم أنسه وظللت أبحث عنه وكأنه بعد هذه السنين ظل طفلا دون أن يكبر. ويخيل إليّ أنني أراه في وجوه المارة وأود أن أبوح له:

- كنت مراهقا...

ولأذكره بتلك الحادثة مراقبا شفتيه لعلي أفهم ما يقوله بعدما صرت ودون تهريج، عاجزا عن السمع هذه المرة.

مجلة الموقف الأدبي/ مج 46/ ع 553/ 2017

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الثانية: "وما بدَّلوا تبديلا"

لم يكنْ صباحُ الحادي والعشرينَ مِنْ آذارَ عاديًّا قطّ، كانَ مبللاً بالندى، ومكلَّلاً بالْغارِ وترانيمِ الشَّهادةِ، أَنْبَأَتْ تَباشيرُهُ الأولى بِأَلْفِ حِكايَةٍ للبُطولة والْفِداءِ. ومَعَ ساعاتِهِ الأولى بَدَأَتْ أرتالُ العدوِّ بالتَّقدّمِ إلى بلدة الْكَرامَةِ قُرْبَ جِسْرِ الْأميرِ مُحَمَّدٍ، تَحْكي صَلَفَ الْعُدْوانِ، وَغُرورَ الْجَيْشِ الذي جاءَ مُخْتالاً بِمَقولَةِ: "الْجَيْشِ الذي لا يُقْهَرُ".

غيرَ بَعيدٍ، كانَتْ مَجموعةٌ مِنَ الْأسودِ تَرْبِضُ في الْخُطوطِ الْأماميَّةِ لِمِنْطَقَةِ الْمَعْرَكَة، عيونُها تَرْصُدُ الإِحْداثياتِ بِدِقَّةٍ وَتُمَرِّرُها إلى وِحْداتِ الْمِدفَعِيَّةِ الْخَلْفِيَّةِ أولاً بأوَّلٍ، مِمَّا مكَّنَ سِلاحَ المِدْفَعِيَّةِ مِنْ تَدْميرِ عَدَدٍ كَبيرٍ مِنْ آلياتِ الْعَدُوِّ، وَإيقافِ تَقَدُّمِهِ واجْتياحِه المِنْطَقَةَ، فبَدَأَتْ أوْهامُ الْعَدوِّ وغُرورِهِ بالتبدُّدِ معَ تَوالي الْخَسائِرِ والْإِصاباتِ في صُفوفِه، في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنْ الْمَعْرَكَةِ.

كانَتْ عُيونُ بَطَلِنا مُرَكِّزَةً عَلى الْجِهَةِ التي يُحاوِلُ الْعَدُوُّ الْعُبورَ مِنْها، وكانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلاً: "يا خَضِرُ، لا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ إنْ خَلَصَ العدوُّ إلى وطنِكَ الْغالي، الذي رواهُ الصَّحابَةُ الأبْرارُ بِدِمائِهِمُ الزَّكِيَّةِ عَبْرَ سِنيِّ الْفَتْحِ، وَمِنْكَ عَيْنٌ تَطْرُفُ"، وَأَقْسَمَ لِنَفْسِهِ بالله الْعَظيمِ أنَّهمْ: "لَنْ يَمرُّوا إلا على جَسَدِهِ"، وأنَّه "سَيُسَدِّدُ الدَّيْنَ الْمُسْتَحَقَّ لِوَطَنِهِ في دَمِهِ".

واصَلَتْ الْمِدْفَعِيَّةُ دَكَّ مَواقِعِ الْعَدُوِّ دونَ كَلَلٍ، ولاحَظَ الْعَدُوُّ دِقَّةَ الْمَعْلوماتِ والْإِصاباتِ الْمُحَقَّقَةِ التي تُسَجِّلُها الْمِدْفَعِيَّةُ الْباسِلَةُ في صُفوفِهِ، فَأَخَذَ يَتَتَبَّعُ مَصْدَرَ الْمَعْلوماتِ بِتَرْكيزٍ شَديدٍ، عَبْرَ عَمَلِيَّةِ اسْتِطْلاعٍ مَيْدانِيَّةٍ واسِعَةٍ قادَتْ إلى تَحْديدِ مَوْقِعِ الْمُلازِمِ أَوَّل "خَضِر شُكري يَعْقوب" وَرِفاقِه الثَّلاثَةِ، وَتَمَكَّنَ الْعَدوُّ مِنْ مُفاجَأَتِهِمْ وَتَطْويقِ مَوْقِعِهِمْ بِمَجْموعَةٍ كَبيرةٍ مِنْ جُنودِ الْمُشاةِ والدَّباباتِ.

في لَحْظَةٍ خاطِفَةٍ مرّت تجَلَّى خَياران لا ثالثَ لَهُما أَمامَ الْأُسودِ: إمَّا الاسْتِسْلام، أو الشَّهادَة.

بِثَوانٍ مَعْدوداتٍ تَوالى شَريطٌ مُصَوَّرٌ مِن الذِّكْرَياتِ كالطَّيْفِ الشَّفيفِ في مُخَيِّلَتِهِ، تَراءَتْ لَهُ مَرابِعُ الطُّفولَةِ والصِّبا في "مَعانَ" التي وُلِدَ فيها عامَ 1941، والأَحْلامُ الْباسِقَةِ التي راوَدَتْهُ مُنْذُ نُعومَةِ أَظْفارِهِ بِأَنْ يُصْبِحَ جُنْدِيًّا في الْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ الْباسِلَةِ، وَتَدْريباتُ اللياقَةِ الْبَدَنِيَّةِ الْعالِيَةِ التي أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِها لِيكونَ أَهْلاً لِلسَّيْرِ في دَرْبِ الْجُنْدِيَّةِ، تلك التَّدْريباتُ التي شَحَذَتْ صَلابَتَهُ وإرادَتَهُ، وَمَكَّنَتْهُ مِنَ الْفَوْزِ بِعَدَدٍ مِنَ الْبُطولاتِ الرِّياضِيَّةِ وَمِنْ أَبْرَزِها "بُطولَةُ الْقَفْزِ الْعالي" في مَهْرجانِ الْقُدْسِ الرِّياضِيِّ عامَ 1956.

وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِشْرًا لَحْظَةَ انْتِظامِه في صُفُوفِ الْجَيْشِ الْعَرَبِي الْباسِلِ عامَ 1961، بِرُتْبَةِ مُرَشَّحٍ في سِلاحِ الْمِدْفَعِيَّةِ الْمَلَكِيِّ ضابِطاً لِلرَّصْدِ والْمُلاحَظَةِ، وَوَصَلَ بِهِ شريطُ ذكرياته إلى لَحْظَةِ الشَّرَفِ الْعَظيمِ الذي كُلِّلَتْ بِهِ مَسيرَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ فَجْرَ هذا الْيَوْمِ، حينَ كُلِّفَ وَرِفاقُهُ التَّوَجُّهَ إلى الْخطوطِ الْأَماميَّةِ بَعْدَ أنْ تَبَيَّنَتْ نَوايا الْعَدُوِّ الْغاشِمِ باجْتِياحِ الْمِنْطَقَةِ؛ فَكانَ لَهُ ما تَمَنَّى.

في لَحْظَةٍ تَوَقَّفَتْ مَعَها حَرَكَةُ الزَّمانِ والْمَكانِ، أتلف البطل جميع ما بحوزته من أجهزة وخرائط خشية

موقع الإيمان التعليمي

وقوعها في يد العدوّ، وأبقى على جهاز واحد للاتّصال، وَمَرَّرَ إِحْداثِياتِ مَوْقِعِهِ إلى وِحْدَةِ سلاح الْمِدْفَعِيَّةِ، وَأَمَرَها بِقَصْفِ الْمَكانِ الذي يَتَواجَدُ فيه، وَصَدَحَ بِصَوْتِهِ الْجَهيرِ: "واحِدْ، واحِدْ، الهدف مَوْقِعي، أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ، ارْمِ ارْمِ، انْتَهى".

في الْجانِبِ الآخَرِ مِنَ الْمَشْهَدِ كانَتْ أَرْواحُ الْأُسودِ الْبواسِلِ تَرْتَقي إلى عَلْياءِ الشَّهادَةِ، تَرْفُلُ في حَواصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ، وانْسابَتْ آياتٌ مُبارَكاتٌ في مَدى الْمَكانِ والزَّمانِ: "مِنَ الْمؤمنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْديلا".

بقلم: د. خلود العموش

مأخوذة من قصة استشهاد الملازم البطل "خضر شكري يعقوب"

المصدر: كتاب "معركة الكرامة"/قسم التاريخ العسكري، رئاسة أركان الجيش العربي/نيسان/1969/ص172

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الثالثة: تطريز

قصة راي براد بري

كانت الشرفة الظليلة تمتلئ عند الغروب بوميض سنانير مثل حركة حشرات فضية في الضوء، بينما أفواه النساء الثلاث تنكبُّ فوق عملها بوجوم، تنحني ظهورهنَّ إلى الأمام قليلا، ثم إلى الخلف. كلٌّ واحدة منهن تنظر إلى يديها وكأنها اكتشفت فجأة أنَّ قلبها ينبض هناك. "كم الساعة الآن"؟ سألتْ الأولى. "الخامسة إلا عشر دقائق". قالت الأولى: "يتوجب عليَّ النهوض الآن لتقشير البازيلاء للعشاء"، و...، قالت إحداهن: "لقد نسيت، ما أغباني"! وضعتْ الأولى تطريزها وسنارتها جانبا، ونظرتْ من باب الشرفة، فشعرتْ بالدفء الذي يملأ البيت والمطبخ، على الطاولة كانت تظهر مؤشرات الحياة العائلية أكثر من أي شيء شاهدته في حياتها، كومة البازيلاء الطازجة المغسولة تقبع بقشرتها الناعمة، تنتظر أصابعها كي تخرجها إلى العالم. قالت المرأة الثانية: "اذهبي وقشريها إذا كان ذلك سيشعرك بالتحسن". أجابتْ الأولى: "كلا لا أريد".

تنهدت الثالثة، إذ طرزتْ وردةً ذات أوراق وزهر ربيع في حقل أخضر. كانت الثانية تطرِّز أدقَّ قطعة من التطريز بين الثلاث، تذهب السنارة وتعود بسرعة بين يديها في رحلاتٍ لا تعدّ ولا تحصى، فيما تنشر ومضاتها السوداء: وردةً، ثم رجلاً، وطريقاً، ثم شمساً، ومنزلا، ويكبر المنظر الأخّاذ بين يديها بكل تفاصيله. قالت: "يبدو أنَّكن في مثل هذه الأوقات تتكبن على يديكن دائما"، حرَّكتْ الأخريات رؤوسهن. قالت الأولى: "أعتقد أنَّ أرواحنا في أيدينا؛ لأننا نقوم بكل شيء للعالم بها، ويهيأ لي في أحياناً أنَّنا لا نستعمل أيدينا نصف ما يجب، ومن المؤكد أننا لا نستعمل رؤوسنا". حدّقْنَ جميعا بما كانتْ تقوم به أيديهن، وقالت الثالثة: "أجل، عندما تعيد النظر بالحياة كلها، يبدو أنك لا تتذكر الوجوه بالقدر نفسه الذي تتذكر به الأيدي وما قامتْ به". تذكَّرْنَ الأغطية التي رفعنها، والأبواب التي فتحنها وأغلقنها، وجبات العشاء التي أعددنها، كل شيء بحركات أصابعهنَّ البطيئة أو السريعة حسب العادة أو المزاج، وإذا تذكرْتَ الماضي فإنك تشاهد موجةً من الأيدي مثل حلم ساحر. ارتعاش الأيدي الوردية هو الصوت الوحيد، وما عدا ذلك فهو حلم بلا أصوات. قالت الثالثة: "لا عشاء لتحضيره الليلة أو ليلة الغد، أو التي تليها، وليس هناك نافذة ستفتح وتغلق، ولا فحم ليوضع في فرن الطابق السفلي في الشتاء القادم، لا صحف لقص مقالات الطبخ منها، ...". فجأةً بدأنَ بالبكاء، وتدحرجت الدموع بنعومة على وجوههن لتسقط فوق قطع التطريز.

أخيرا قالت الأولى: "هذا لن يساعد في شيء". صاحت الثانية بغضب: "الآن انظرن ماذا فَعَلْتُ". بدأتْ الأخريات بالتحديق في تطريزها، وكان المنظر رائعا هناك، لولا أنَّ تطريز الشمس الصفراء منحدر جدا بأشعته نحو الحقل الأخضر. قالت الثانية: " أظنُّ أنني يجب أنْ أمزق كلَّ هذا وأعيد حياكته بشكل سليم". "يا للعار"، وحدقن جميعا بالمنظر الجميل ذي الخطأ البسيط. بدأتْ الثانية بتمزيق نموذجها طبقة طبقة، كانت تسحب الخيوط وتخلعها بقوة؛ تمزق وجه الرجل. انحنين وشاهدن ما فَعَلَتْهُ، لقد أزاحتْ الرجل بالكامل، لم يتفوهن بكلمة، وعدن إلى عملهن. "كم الساعة؟" "الخامسة إلا خمس دقائق".

موقع الإيمان التعليمي

"من المفروض أن يحدث في الساعة الخامسة". "لماذا لم نوقفهم قبل أن يستفحل الأمر إلى هذه الدرجة؟"، إنه ضعف الحجم المعتاد، كلا، بل ربما ألف ضعف، هذه المرة ليست مثل المرة الأولى، أو الثانية، هذه تختلف. لا أحد يعرف ماذا يمكن أن تفعل عندما تأتي. الخامسة إلا دقيقة، لمعت الإبر بنيران فضية، وسُمِعَ صوت بعوضة في المدى، ثم صوت يشبه دقات الطبول، أمالت النساء الثلاث رؤوسهن مصغيات. "لن نسمع شيئا، ربما كنا غير مدركات، ربما سنستمر بعد الخامسة بتقشير البازيلاء، وغسل الأطباق، و.."، إنَّها الخامسة. صمتن، وأشغلن أنفسهن حتى انتفضت أصابعهن، طرزن نماذج عجيبة، وردا، وأعشابا، ومنازل، وأنهارا على الملابس، وكان بالإمكان سماع أصوات تنفسهن في جو الشرفة الهادئ. مرت ثلاثون ثانية. تنهدت الثانية، وقالت: أعتقد أنني سأذهب لتقشير البازيلاء، لم تتمكن حتى من إدارة رأسها، وفي مكان ما شاهدت العالم تشتعل فيه النار، لم تنظر إلى الأعلى، لأنها تعلم ماذا كان هناك، ولم تفعل الأخريات، في آخر لحظة كانت أصابعهن تطير، لم يلقين ولو نظرة لمعرفة ما يحدث للمدينة، للبيت، أو حتى للشرفة، كن يحدقن بالتصاميم المرتعشة التي بين أيديهن.

شاهدت الثانية زهرة مطرزة تتلاشى، حاولت إعادة تطريزها، لم تتمكن، ثم اختفت الطريق والأعشاب، شاهدت نارا تمسك بالبيت المطرز تعريه ببطء وتسحب كل ورقة من أوراق الشجرة الخضراء في الطوق، وشاهدت الشمس تتمزق في التصميم. انتقلت النار إلى الجزء المتحرك من السنارة وهي ما تزال تلمع، شاهدت النار تأتي على أصابعها وساعديها وجسمها دون أن تقتل غزلها لأنها بذلت فيه جهدا كبيرا، كانت تجذب التصميم بعنف من الخيوط التي باليد. ماذا كانت تفعل للنساء الأخريات؟ أو الأثاث، أو شجرة الدرداء في فناء البيت؟ لم تكن تعرف. أما الآن، فأجل.

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الرابعة: من حياة القصيبي

حياة في الإدارة

كنتُ، دومًا، من المؤمنينَ أنَّ من أهمّ مسؤولياتِ القائدِ الإداريّ أنْ يتأكدَ أنَّ كلَّ قرشٍ يُنفَقُ في وجههِ الصحيح. يجبُ أن يصبَّ الإنفاقُ في جيوبِ المواطنينَ المحتاجينَ، لا في جيوبِ الشركاتِ الأجنبيةِ. عندما بدأتُ عهدي في وزارةِ الصناعةِ والكهرباءِ، وضعتْ شركةٌ استشاريةٌ تصميمًا بتكلُفةٍ تقتربُ من بليونَ ريال. ألف مليونِ ريال لمبنى إداريّ! تذكّرتُ من زيارتي للصينِ، الفندقَ الذي سكنتُ فيه من بناءِ شركةِ مقاولاتٍ محليةٍ، فتواصلتُ مع سفيرِ الصينِ، معربًا عن رغبتي في أن تُنفّذَ الشركةُ مبنى الوزارةِ. صُمّمَ المبنى ونُفّذَ بتكلُفةٍ لم تكدْ تتجاوزُ مائةَ مليونِ ريال.

نعودُ إلى المناقصاتِ التي أُلغيتْ. طرحتْ المؤسسةُ العامةُ للكهرباءِ في مناقصةٍ دوليةٍ أربعةَ مشاريعَ كهربائيةٍ مركزيةٍ تُغطّي مناطقَ الخرجِ والباحةِ وعسيرَ وجيزانَ. لا بُدّ هنا أن أتوقفَ لأقولَ إني كنتُ، ولا أزالُ، من المؤمنينَ أن المناقصةَ هي أفضلُ طريقةٍ لضمانِ العدالةِ بين المتنافسينَ، إلا أنه لكيّ تُحققَ المناقصةُ هدَفَها لا بدّ من توافرِ شرطينِ هامّينِ: الأولُ أن تكونَ لدى الجهةِ الحكوميةِ فكرةٌ دقيقةٌ عن تكلفةِ المشروعِ. والشرطُ الثاني هو أن تتأكّدَ الجهةُ المعنيّةُ أن الفرقَ بين عطاءاتِ المتنافسينَ يبقى ضمنَ حدودِ 25% تقريبًا. فعندما يكونُ هناك عطاءٌ بعشرةِ ملايينَ، وعطاءٌ بمائةِ مليونَ، لا بُدّ أن يكونَ هناكَ خللٌ رئيسٌ قد يبرّرُ إلغاءَ المناقصةِ. عندما جاءتْ العروضُ كلُّها مرتفعةً ارتفاعًا هائلًا يفوقُ التكلفةَ الفعليةَ على نحوٍ غيرِ مقبولٍ، لم يكنْ هناك من سبيلٍ سوى إلغاءِ المناقصةِ كلّها.

أحدثَ قرارُ الإلغاءِ دويًّا يَصمُّ الآذانَ. ضجّتْ الشركاتُ العالميةُ العملاقةُ التي صُرِفَ النظرُ عن عُرُوضِها، بعبارةٍ أخرى، ضجّتْ المصالحُ. لم تكنْ الضجةُ تهمُّني بقدْرِ ما كانَ يهمُّني البديلُ. سهلٌ أن تلغيَ مناقصةً، وصعبٌ أن تُنفّذَ المشاريعَ بعدَ استبعادِ الشركاتِ الكبرى القادرةِ على تنفيذِها.

اتّجه تفكيري، على الفورِ إلى آسيا. لم تكنْ الشركاتُ الآسيويةُ، وقتَها، قد تغلغلتْ في السوقِ السعوديّ، وبعد التشاورِ مع الزملاءِ انتهيّنا إلى أنّ إمكانياتِ الهندِ تسمحُ لها بتنفيذِ مشروعِ جيزانَ، وأنّ إمكانياتِ الباكستانِ تُتيحُ لها تنفيذَ مشروعِ الخرجِ، وأن إمكانياتِ الصينِ تمكّنُها من تنفيذِ مشروعِ الباحةِ، وأنَّ إمكانياتِ كوريا الجنوبيةِ تجعلُها قادرةً على تنفيذِ مشروعِ عسيرَ. لم يكنْ أحدٌ، باستثناءِ قلّةٍ قليلةٍ من الزملاءِ العاملينَ معي، يتوقّعُ أنْ تنتهيَ المغامرةُ بالنجاحِ. كانَ الرأيُ السائدُ أني سأعودُ خائبًا استعطفُ الشركاتِ التي استبعدْتُها. وحقيقةُ الأمرِ كنتُ أشعرُ أنني أقفزُ في الظلامِ ولكنَّ اللهَ سَلَّمَ وجاءتْ النتائجُ تفوقُ الأمنياتِ، حتّى أمنياتي أنا.

موقع الإيمان التعليمي

خلالَ المفاوضاتِ مع رؤساءِ المؤسساتِ والشركاتِ التي تولّتْ تنفيذَ المشاريعِ، كرّرتْ المرةَ تِلوَ المرةِ، أنَّ هذه عقودٌ بينَ حكوماتٍ، وأنّه لا يجبُ أنْ تدفعَ لأحدٍ أيّةَ عُمُولاتٍ. وبعدَ توقيعِ العقودِ بفترةٍ وجيزةٍ، أخبرني محافظُ المؤسسةِ العامةِ للكهرباءِ أنَّ مندوبَ إحدى الشركاتِ التي تُنفذُ أحدَ المشاريعِ أخبَرَه أن شركتَه كلَّفتْه بتسليمِه ثلاثةَ ملايينَ ريالٍ نقداً، وأنَّ إدارةَ الشركةِ قررتْ إعطاءَه 5% من كلِّ عَقدٍ توقِعُه، مستقبلًا، مع المؤسسةِ. عقدتْ المفاجأةُ لسانَ المحافظِ ، وقالَ للمندوبِ إنه يحتاجُ إلى مُهْلَةٍ للتفكيرِ. عندما أخبرني بما حدثَ رأيتُ أنه لا بدَّ من تلقينِ الشركةِ درسًا قاسيًا، ولتتعظَ به الشركاتُ الأخرى. اتفقتُ مع وزيرِ الداخليةِ أنْ تقومَ المباحثُ الإداريةُ بنصبِ كمينٍ للمندوبِ. اتصلَّ المحافظُ بالمندوبِ وأخبَرَه أنّه موافقٌ على العَرْضِ، وأنه ينتظِرُه في بيته. في الموعدِ المحدّدِ جاءَ المندوبُ يحملُ حقيبةَ ملابسٍ تحتوي على مليونِ ريالٍ وضُبط المندوبُ بالجرمِ المشهودِ، ولقيَ عقوبَتَه طِبْقًا للأنظمةِ، وقد فُرِضتْ غرامةٌ على الشركةِ مقدارُها عشرةُ ملايين ريالٍ، (مكنتّنا هذه الغرامةُ من كهْربةِ عددٍ إضافيٍّ من القرى الصغيرةِ لم يكنْ المشروعُ الأصليُّ يشمَلُها، ورُبَّ ضارةٍ نافعةً!)

آه! كهربةُ القُرى النائيةِ! هناك كانَ هوى قلبي! كنتُ أبذل الكثيرَ من الوقتِ والجُهْدِ في التعاملِ مع شركاتِ الكهرباءِ في المُدنِ الرئيسةِ، إلّا أنَّ أولويتي كانتْ إيصالَ الكهرباءِ إلى المناطقِ النائيةِ. كانت كهربةُ المملكةِ بأسرِها هدفًا وطنيًا تبنتّه الدولةُ، وكانَ تنفيذُه واجبًا في عُنُقِ كلِّ مسؤولٍ. إلّا أنّه كانَ وراءَ حماستي، سببانِ آخرانِ، أولُهُما شخصيٌّ محضٌ. ففي سنواتِ طفولتي الأولى في الإحساءِ لم تكنْ الكهرباءُ قد دخلتْ البلدةَ، وكُنَّا نعيشُ في ضوءِ الفانوسِ (الفنر) في المجلسِ وحْدَه. وعندما وصلتُ البحرين كانَ أولُ ما شدَّ انتباهي وجودُ الكهرباءِ في البيت. كنتُ مأخوذًا بهذه الظاهرةِ السحريةِ: يضغطُ على زرّ فتسبحُ الغرفةُ المظلمةُ في نورٍ ساطعٍ. أذكرُ أنني كنتُ في ساعةِ الغروبِ، أقفُ في ساحةٍ قريبةٍ من المنزلِ أنتظرُ وصولَ موظفِ البلديةِ المسؤولِ عن المصابيحِ الكهربائيةِ. يجيءُ الموظفُ وفي يده عصًا طويلةً يستطيعُ من خلالِها إضاءةَ المصابيحِ. يسودُ الظلامُ في هذا الركنِ، ويجيءُ رجلٌ يحملُ عصا طويلةً ليبددَ بها الظلام. ينتقلُ الرجلُ إلى رُكْنٍ مظلمٍ آخرَ وينتقلُ معَه النورُ. كنتُ حريصًا أن يعرفَ كلُّ مواطنٍ الفرحةَ العارمةَ التي تملّكتْني وأنا أرى الكهرباءَ لأولِ مرّةٍ. وسببٌ ثانٍ، أقلُّ رومانسيةٍ. كنتُ، ولا أزالُ، أرى أن الكهرباءَ هي بابُ القرنِ العشرينَ (والحادي والعشرينَ)، ومعَ الكهرباءِ يجيءُ المذياعُ والتلفزيونُ، وتجيءُ الغسّالةُ، والهاتفُ (وفي فترةٍ لاحقةٍ الفاكسُ والحاسوبُ والفضائياتُ). كنتُ أنظرُ إلى الأمرِ ببساطةٍ متناهيةٍ: كَهْرَبةُ قريةٍ نائيةٍ تعني إدخالَها قلبَ الحياةِ الجديدةِ.

من كتاب "حياة في الإدارة" لغازي القصيبي/ بتصرف

موقع الإيمان التعليمي

الوحدة الخامسة: في الصّداقة والصّديق

قلتُ للأندلسيّ: مِمَّ أُخِذَ لفظُ الصديقِ؟ قالَ: أُخِذَ بنظرٍ من الصّدقِ، وهو خِلافُ الكذبِ. ومرّةً قالَ الصَّدقَ، لأنه يُقالُ: رمْحٌ صَدْقٌ أي صَلْبٌ، وعلى الوجهينِ، الصديقُ يَصْدُقُ إذا قالَ، ويكونُ صدقًا إذا عَمِلَ، قالَ: وصَدْقةُ المرأةِ وصَدَاقُها وصداقَتُها كلُّه مُنتزَعٌ من الصِّدق والصَّدق، وكذلكَ الصادقُ والصديقُ، والصدوقُ والصدقةُ والمتصدِّقُ كلُّ هذا متناسبٌ.

وقيلَ لبرهانِ الصوفيّ: مَنْ الصديقُ؟ قالَ: يا هذا اطلب من يسَعُكَ بخُلُقِه، ويؤنِسُكَ بنفسِه، ويواسيكَ مِن قليله، إنْ رضيَ عنكَ لم يُغْلِظْكَ، وإنْ سخِطَ عليكَ لم يمقُتْكَ، يُبْدي لكَ خَيْرَه لتقتديَ به، ويواري عنكَ شَرَّه لئلا تستوحشَ منه، فأما مَن تكونُ مِثال نفسِه في كلِّ حالٍ تلوّنَ به الدهرُ، وهَمَّ صدرُه في كلِّ أمرٍ، يُقدِّمُ حظَّكَ على حظِّه، ولا يُغْلِظُ القولَ بلفْظِه، ولا يتغيرُ لكَ في غيْبِه، يعانقُ مصلحَتَكَ بالاهتمام، فذاكَ شيءٌ قدْ سدَّ الناسُ دونَه كلَّ بابٍ، وقصُرَ الطمعُ فيه عن كلِّ قابٍ، فليسَ له شبعٌ إلا فى الوهْمِ، ولا خيالٌ إلا في التمني والسلام...

وقالَ عليٌّ بنُ حمّادٍ: قالَ الحسنُ: مَثَلُ الصاحبِ مَثَلُ الرُّقْعةِ في القميصِ، فلينظرْ المرءُ بأي شيءٍ يرْقَعُه. وقالَ: إنَّ المؤمنَ شُعْبَةٌ مِنَ المؤمنِ، يَحْزَنُ لحزنِه ويفرحُ لفرحِه، وهو مرآةُ أخيهِ، إنْ رأى منه ما لا يُعجِبُه قوَّمَه وسدَّده، ووجّهه، وحاطَه في السرِّ والعلانيةِ.

قلتُ لأبي سليمانَ محمدِ بنِ طاهرٍ السجستانيّ: إني أرى بينكَ وبينَ ابنِ سَيّار القاضي ممازحةً نفسيةً، وصداقةً عقليةً، فمنْ أينَ هذا؟ وكيفَ هو؟ فقالَ: يا بُنَيَّ اختلطتْ ثقتي به بثقته بي، فاستفدنا طمأنينةً وسكونًا لا يرثّانِ على الدهرِ، ولا يحولانِ بالقهرِ، ومع ذلكَ فبيننا بالطالعِ ومواقعِ الكواكبِ مشاكَلَةٌ عجيبةٌ، حتى أنّا نلتقي كثيرًا في الإراداتِ والاختياراتِ، وربما تزاورنا فيحدّثُني بأشياءَ جرتْ له بعدَ افتراقِنا من قبلُ، فأجِدُها شبيهةً بأمورٍ حدثتْ لي في ذلكَ الأوانِ، حتى كأنَّها قسائمُ بيني وبينه، أو كأنّي هو فيها أوْ هو أنا.

وقيلَ لأعرابيّ: مَنْ أكرمُ الناسِ عِشْرةً؟ قالَ: مَنْ إنْ قرُبَ مَنَحَ، وإنْ بعُدَ مدَحَ، وإنْ ظُلِمَ صفَحَ، وإن ضويقَ فسحَ، فمنَ ظَفَرَ به فقدْ أفلحَ ونجح.

قالَ أبو العتاهيةِ لعليّ بنِ الهيثم: ما يجبُ للصديقِ؟ قالَ: ثلاثُ خِلالٍ: كِتْمانُ حديثِ الخَلوةِ، والمواساةُ عندَ الشدّةِ، وإقالةُ العثْرةِ.

وقال أبو المتيَّمِ الرّقّيّ: قلتُ لابنِ المولَّه: مَنْ أجلِسُ إليه، وأشتملُ بسرّي وعلانيتي عليه؟ قالَ: مَنْ إذا كنتَ لنفسِكَ كانَ معكَ، يجلو صدأَ جهلِكَ بعلمِه، ويحسِمُ مادةَ غيّكَ برُشْدِه، وينفي غِشَّ صدرِكَ بنُصْحِه، اصحبْ مَنْ إنْ قلتَ صدقَكَ، وإنْ سكتَّ عذَرَكَ، وإنْ بذَلْتَ شكرَكَ. قلتُ: يا سيدي مَنْ لي بمنْ هذا نعْتُه؟ قالَ: كنْ أنتَ ذاكَ تجدْكَ على ذاكَ، ويجدْكَ مثْلَكَ على ذاكَ، كأنَّكَ إنما تُحبُّ أنْ يكونَ غيرُكَ لكَ، ولا تُحِبُّ أنْ تكونَ أنتَ لغيرِكَ.

موقع الإيمان العقيدي

قلتُ لأبي سليمانَ: هل يفيض الصّديقان إلى هجْرٍ؟ وهل يفزعانِ إلى عتَبٍ؟ فقالَ: أما ما دامتْ الصداقةُ قاصرةً عن درجتِها القاصيةِ، فقد يعْرِضُ هذا السّوء كلُّه بينهما، لكنهما يرجعانِ فيه إلى أُسّ المودةِ، وإلى شَرائطِ المروءةِ، وأما الهجرُ فإن حدث حدث جميلاً، وأما العتبُ فربما أصلحَ وِرْدَ الفائتِ، ولمَّ الشعثِ، والإكثارُ منه ربما عَرَضَ بالحقدِ، وأحدَثَ نوعاً من النُّبُوَّةِ.

قلتُ فما الفرقُ بينَ الصداقةِ والعلاقةِ؟ فقالَ: الصداقةُ أذهبُ في مسالكِ العقلِ، وأدخَلُ في بابِ المروءةِ، وأنزَه عن آثارِ الطبيعةِ، وأشبَه بذوي الشيبِ والكهولةِ، وأرمى إلى حدودِ الرشادِ، وأبعدُ من عَوَارضِ الغرارةِ والحداثة..

فأما العلاقةُ فهي من قبلُ العشقُ، والمحبةُ والكَلَفُ، والشَغَفُ، والتتيُّمُ، والتهُّيُمُ، والهوى والصبابةُ، والتدانفُ، والتشاجيُّ. وهذه كلُّها ليسَ للعقلِ فيها ظِلّ ولا شخصٌ، ولهذا تسرعُ هذه الأعراضُ إلى الشّبابِ من الذُكرانِ والإناثِ، وتنالُ منهم، وتحولُ بينهم وبينَ أنوار العقولِ وأداء النّفوسِ وفضائل الأخلاق.

من كتاب " الصداقة والصديق" لأبي حيان التوحيدي

عرض: محمد رجب،

مكتبة الأسرة– وزارة الثقافة الأردنية 2010

موقع الإيمان التعليمي